جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ
ماجستير تأريخ اسلامي(تخصصي)

مادة

النظام الاداري في الدولة العربية الاسلامية

المحاضرة الرابعـــة

النزعـــات الاستقلاليةفي الخلافة العباسية

الأستاذ الدكتوره

رغـــد عبـد النبـي جعفـر

٢٠٢٤- ٢٠٢٥

الخلافات التي أعلنت ضد الخلافة العباسية

كانت الدعوة في المغرب والأندلس عقب عمليات التحرير والفتوحات العربية الإسلامية، قائمة لخلافة دمشق الأموية التي ما كاد ينتهي أجلها سنة ١٣٢هـ – ٧٤٩م على العباسيين حتى سيطرت على تلك البلاد دويلات وخلافات إسلامية تدين بمختلف المذاهب المعادية للخلافة العباسية في بغداد، نذكر منها خلافة الخوارج والأدارسة في المغرب والخلافة الأموية في الأندلس، ولقد أقام العباسيون في عهد الرشيد دولة الأغالبة في المغرب الأدنى لحماية أطراف الدولة العباسية من أخطار الخوارج والأدارسة والأمويون.

وتجد الإشارة في هذا الصدد إلى أن النزعات الاستقلالية التي دبت في المشرق الإسلامي لم تحل دون استمرار دولة المستقلة على ولائها الروحي تجاه الخلافة العباسية، أما دول المغرب الإسلامي فإنها نزعت إلى الانفصال أو الاستقلال السياسي والروحي عن الخلافة العباسية مما أضطر هذه الأخيرة إلى إقامة دولة الأغالبة كدولة حاجزة بينها وبينهم .

الخوارج:

كان مذهب الخوارج في بادي الأمر، من أكثر المذاهب انتشاراً بين قبائل البربر في المغرب، لأن مبادئ الخوارج يقوم على أساس عدم حصر الخلافة في بيت معين أو جنس معين ويرى تركها لاختيار الأمة فهي التي تختار الشخص الصالح لخلافتها بغض النظر عن جنسه أو لونه ما دام مستوفياً لشروط الخلافة، لهذا وجد البربر مذهب الخوارج يناسب وضعهم الاجتماعي والسياسي، فاتخذوه عنواناً للمعارضة ضد أي سيادة تفرض عليهم.

وكانت الصفرية والإباضية أكثر مذاهب الخوارج رواجاً في بلاد المغرب وأكثرها اعتدالاً وتسامحاً مع المخالفين إذا ما قورنت بغيرها من المذاهب الخارجية الأخرى كالأزارقة والشراة في المشرق، فالصفرية والإباضية لا يرون إباحة دماء المسلمين أو سبي النساء والذرية ، بل لا يرون قتال أحد سوى جيش السلطان وعلى أساس هذه المبادئ السابقة قامت في المغرب دولتان خارجيتان إحداهما تدين بالمذهب الصفري، والأخرى تدين بالمذهب الإباضي.

أما الدولة الأولى فهي دولة بني مدرار الصفرية التي قامت في منطقة سلجماسة، والتي تعرف اليوم باسم تافيلالت، في جنوب المغرب الأقصى وذلك سنة ١٤هـ (٧٥٧م)

ومؤسسها كان سودانياً أسود اللون يدعى **عيسى بن يزيد المكناسي الصفري**، ويلاحظ أن اختياره يتفق مع مبادئ الخوارج التي لم تتقيد بجنس أو لون معين، وقد انتهت دولة الصفارية أو الدولة الصفرية على يد قائد الفاطميين جوهر الصقلي سنة ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م.

أما الدولة الخارجية الأخرى فهي **الدولة الرسمية الأباضية** والتي قامت في المغرب الأوسط (الجزائر حالياً) وذلك سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١م ومؤسس هذه الدولة رجل فارسي الأصل يدعى **عبد الرحمن بن رستم** الذي بويع بالخلافة وصار بلقب بالإمام هو وأبناءه من بعده، ويلاحظ أن أصله الفارسي لم يحل دون اختياره إماماً تمشياً مع مبادئ الخوارج.

وكانت عاصمة هذه الدولة **مدينة تاهرت** والتي بناها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٥٠هـ ٧٦٧م وتقع تقريباً في مكان يسمى تيارت الحالية في ولاية وهران غربي الجزائر ولم تلبث هذه المدينة أن ازدهرت وهاجر إليها التجار والعلماء والطلبة من جميع أنحاء العالم الإسلامي، حتى صارت تسمى بالعراق الصغير، تشبيهاً لها ببلاد العراق الصاخبة بمختلف الأجناس والملل والنحل.

وقد عمل عبد الرحمن بن رستم الفارسي على تدعيم دولته فعقد تحالفاً مع الدولة الأموية في الأندلس، وكذلك مع الدولة الخارجية الأخرى في سجلماسة وهي الدولة المدرارية الصفرية، ونتج عن هذا التحالف الأخير تلك المصاهرة التي تمت بزواج المنتصر بن مدرار من أروى بنت عبد الرحمن بن رستم، وأنجب المنتصر بن مدرار ولداً سماه ميموناً، وهو الذي خلفه في الحكم بعد ذلك.

ولما توفي عبد الرحمن بن رستم سنة ١٦٨هـ او ١٧١ هـ ترك الأمر شوري في سبعة أشخاص من بينهم ابنه عبد الوهاب الذي مالت الأغلبية إلى مبايعته وتسليم الخلافة إليه، بينما اتخذ المخالفون جانياً معارضاً، ولهذا سموا بالنكارية (بقيادة يزيد بن فندين)

واستمرت هذه الدولة الرستمية تحكم المغرب الأوسط إلى أن قضى عليها الفاطميون سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م على أن إسقاط الدولة الرستمية لم يكن معناه القضاء على مذهب الإباضية في المغرب بدليل أن الإباضية ما زالوا يعيشون إلى اليوم في جنوب الجزائر بمنطقة ميزاب، وفي جبل نفوسة في جنوب طرابلس بليبيا.

إمامة الأشراف الأدارسة:

والى جوار هاتين الدولتين قامت في المغرب الأقصى دولة علوية حسنية سنة ١٧٢هـ،٧٨٨م وهي دولة الإشراف الأدارسة ومؤسسها هو أبو العلاء إدريس بن عبد الله الأكمل

بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً، والذي فر إلى المغرب بعد هزيمة العلويين في **موقعه فخ** قرب مكة وذلك سنة ١٦٩هـ /٧٨٦م وهناك في المغرب الأقصى، إقام إدريس الأكبر دولته بمساعدة قبيلة اوربه ، وبنى عاصمته مدينة فاس التي أتمه ابنه ادريس الأصفر (أو الثاني) من بعده.

ويفهم من كلام المؤرخين أن الادارسة في المغرب الأقصى، كانوا يلقبون بلقب الإمام، وأن هذه الإمامة انتقلت في الأصل إلى جدهم إدريس بن عبد الله بوصاية من أخيه محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية، والذي انعقدت له الإمامة قبل بني العباس، ولما ثار في المدينة مطالب بحقه الشرعي، قتله الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وذلك سنة ١٤٥ هـ ٧٦٢م.

وكان الإمام مالك بن أنس في ذلك الوقت يرجح إمامة محمد النفس الزكية على بني العباس، ولذلك لحق بمالك ابن أنس أذى كبير جراء هذا الموقف اذ ضربه والي المدينة المنورة بالسياط، ولا شك أن هذا الحادث جعل لمالك بن أنس ومذهبه مكانة في دولة الأدارسة في المغرب بدليل ما رواه ابن خلدون من ولاء الإمام إدريس بن عبد الله (الأكبر أو الأول) قال في هذا الصدد "نحن أحق باتباع مذهبه وقراءة كتابه" ويعني بذلك موطأ مالك وعليه أمر بهذا في جميع عمالته.

ولقد امتد حكم الأدارسة بالمغرب من السوس الأقصى إلى تلمسان في المغرب الأوسط، وتوجد في خزانة الرباط وثيقة هامة، وهي قطعة من رسالة الإمام إدريس الأول أو الأكبر إلى أهل مصر يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت النبوي الذي ينتمي إليه، ويصف التضحيات الغالبة التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي الموروث عن رسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويطالبهم بتأييديه ومساندته.

ورسالة الإمام إدريس أو المولى إدريس، كما يسمونه المغاربة، إن هي دلت على شيء فإنما تدل على أن الأدارسة لم يفكروا في فصل المغرب عن بقية العالم الإسلامي كما يزعم البعض، بل بالعكس كانوا يريدون توحيد العالم الإسلامي تحت قيادتهم مستندين في ذلك إلى أصلهم الشريف وشرعيتهم في الحكم.

ويتضح من الأحداث التاريخية التالية أن الخلافة العباسية، قد خشيت على نفسها من اتساع أهداف الدولة الإدريسية، مما أخطرها إلى أقامت دولة الأغالبة في أفريقيا (أي في تونس) وذلك سنة ١٨٤هـ/. ٨٠٠م، لكي تكون حداً فاصلاً بين الدولة العباسية ودولة الإدارسة.

ولكن على الرغم من هذا الحاجز الذي أقامه العباسيون في وجه المغرب، حاول الأدارسة من جانبهم استمالة الأغالبة وكسب صداقتهم حيث أنهم ووجدوا استجابة من بعض أمرائهم، ففي هذا الصدد يقول المؤرخ لسان الدين بن الخطيب توفي سنة ٧٧٦هـ في كتابه أعمال الأعلام " وكتب إدريس بن عبد الله، القائم بالمغرب، إلى إبراهيم ابن الأغلب، يستكفيه من ناحيته، ويذكره بقرابته من رسول الله، فأجابه عن كتابه وأودعه، ولم تجر بينهما حرب" ثم يضيف لسان الدين ابن الخطيب في موضع آخر من كتابه.

"وذكر أن الخليفة المأمون وجه إلى زياد الله بن إبراهيم الأغلب كتاباً يأمره فيه بالدعاء لعبد الله بن طاهر حاكم مصر، فلم يرض بذلك زيادة الله، وأمر بإدخال رسول المأمون عليه ليلة وهو ثمل، ونار عظيمة بين يديه في كوانين، وقد أحمرت عيناه، فهال الرسول منظره، وكان من كلامه بعد تقرير شأنه وطاعة سلفه: يأمرني بالدعاء لعبد خزاعة؟ هذا ما لا يكون أبداً، ثم مد يدة إلى كيس بجنبه فيه ألف دينار ودفعه إلى رسول المأمون ليوصله الى المأمون ، وكانت في الكيس دنانير مضروبة بأسماء بني إدريس الظاهر ملكهم يومئذ بالمغرب، ففهم المأمون مغزاه ولم يعاتبه أبداً".

وواضح من هذه النصوص والتي سبق ذكرها، إن الأدارسة قد اتصلوا بأهل مصر كما اتصلوا بأهل تونس لدرجة أن أحد أمراء الاغالبة قد هدد الخليفة العباسي المأمون بمبايعتهم والانضمام إليهم.

واستمر الأدارسة في الحكم إلى أن قضى على نفوذهم الفاطميون.

المصادر :

١-ابن الابار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، الحلة السيراء ، حققه وعلق حواشيه: حسين مؤنس ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر ، سنة(١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)

٢-ابن حزم الاندلسي ، أبو محمد علي بن احمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) ،الفصل في الملل والاهواء والنحل ، تح : محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ، سنة(١٤١٦هـ/١٩٩٦م)

٣-ابن الخطيب ، لسان الدين (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، اعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق وتعليق : ليفي بروفنسال ، ط٢ ، دار المكشوف ، لبنان ، سنة(١٩٥٦م/ ١٣٧٦م)

٤-المقري ، أبو العباس شهاب الدين احمد بن محمد(ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، مط بولاق ، مصر، سنة(١٢٧٩هـ/١٨٦٢م)

٥-الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، سنة(١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)

المراجع :

١-زيدان ،جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مؤسسة هنداوي ، مصر ، سنة(١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

٢-روزنتال ، فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، تح : صالح احمد العلي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، د .ت